



الدورة الحادية والعشرون
لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي
1435هـ - 2013م

تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية

إعداد

الدكتور سيف راشد الجابري

ممثل دولة الإمارات العربية المتحدة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد : فإن من علامات المحبة المكنونة في القلوب لمن حملوا كلمة التوحيد ونشروها، وجاهدوا فيها ولها نصروها من أنبياء الله ورسوله وفي مقدمتهم سيدنا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته، أن تكون سيرتهم دروساً نستشف منها مستقبل الدعوة، ومنهاجاً تترى عليه أجيال الأمة المحمدية، لذا كان لزاماً علينا أن نحكي إرثهم التاريخي الزاهر، بكتابته وتدوينه وترجمته ونشره ليعم هذا الإرث أصقاع العالم، فنفخر به وبهم، ويهر به كل من يقرأه من أصحاب الألسن الأعجمية، فيعرف أن هذه الأمة لم تقم إلا على أساس المحبة لجميع الأطياف دون تفرقة أو محاباة، ودون مباحاة أو مغالاة . ولكن البعض ممن غرهم أنفسهم وأغواهم الشيطان وتأثروا بالغير، ترجموا هذا المفهوم وأولوه تأويلاً في غير محله، فقاموا بتمثيل أدوار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك مثلوا أدوار صحابة النبي الكريم، فأساءوا لهم بذلك، وجعلوهم عرضةً للألسن، التي تصيد على هذه الأمة ما يشوه سمعتها، بتلطيخ سمعة أعلامها ممن كان لهم بالغ الأثر في نشر الدين الإسلامي وترسيخ دعائمه .

وإنه من البديهي في حال المحبة عند المحب أن يتشبه بحبيبه حالاً ومقالاً، فتراه يتقمص شخصية المحبوب في الأفعال والأقوال فيحصل بذلك الانسجام الروحي الذي بدوره يعطي صورة التجسيد الواقعية بين الشخصيتين، فكأنك ترى اندماج الشخصيتين في شخص واحد فلا تستطيع التفريق بينهما، فتكون هذه أسمى درجات المحبة بين المحبين، ولكننا لا نجد علامات ذلك واضحة في حال الممثل الذي يقوم بأدوار درامية، والذي دائماً ما يسعى إلى منفعة مالية أو سمعة فنية تسوق بدورها المال عليه، فكيف لهذا الشخص أن يقوم بدور نبيٍّ ملهم ومعصوم ومؤيد من الله عز وجل؟! أو كيف له أن يتجسد شخصية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أعلام هذه الأمة؟! وكيف له أن يجسد شخصيات من ذكرنا وهو لا يعرف عن سيرتهم شيئاً؟! فلم يقرأ عنهم إلا في المدارس الشيء القليل، ولم تأمره نفسه أن يبحث في سيرتهم ويتعمق فيها، سوى ما قرأه في النص الدرامي، والذي لا يخوله بتاتاً أن يقوم بتجسيد هذه الشخصيات العظيمة، وإن لم يغير هذا التجسيد في حال المجسدين وحال المجموعة المنتجة لهذا العمل الذي يذكر سيرة خير خلق الله من الأنبياء والمرسلين، أو سيرة آل بيت رسول الله الطاهرين وصحابته المبشرين، أو في حال المشاهد، فما فائدة هذا التجسيد؟!!

إن الهدف من ذكر قصص الأنبياء والرسول والصحابة هو أخذ العبر والدروس من حياتهم والتعلم من أخلاقهم وآدابهم وشجاعتهم وصبرهم، وكذلك ارتباطهم بالله عز وجل، فحياتهم ليست قصصاً تروى أو موروثاً يحتفظ به فقط، بل هي مدارس نتعلم منها ما ينفعنا في ديننا ودنيانا .

إن الأعمال السينمائية غالباً لا تعود بالنفع على المشاهد، وكثيراً ما يتلقى المشاهد من هذه الأعمال الصورة الخاطئة، فتشحنه هذه الأفلام والمسلسلات بالعصبية الدينية أو القبلية أو الانحياز إلى فئة دون أخرى وتصغر في عينة الشخصيات التاريخية أو تكبر حسب ما يتلقاه فهمه القاصر، فتحصل بذلك العصبية الدينية والمذهبية والطائفية وغيرها من الفتن في هذه الأمة، ونحن في زمان نحتاج فيه إلى الوحدة والتعاقد والتكاتف حتى نواجه التيارات المختلفة التي تحاول زعزعة كيان الأمة المحمدية، ودحر هذا الدين وقمعه واستئصاله، لا أن نقوم بإثارة نار الفتن بين المسلمين وإشعال الطائفية بينهم.

ومن غير المستبعد أيضاً في النصوص السينمائية خلوها من الإضافات والحذف في كثير من الأحيان، مما يجعل النص مخالفاً للواقع فهو لا ييدي الصورة التي كانت عليه في الحقيقة، وفي نفس الوقت يصعب عليهم إكمال النصوص لما في بعض المواقع من حرمة (وما كان قليله حرام فجله حرام)، وعلى سبيل المثال لا الحصر، من ذا الذي تسول له نفسه أن يقلد الخطاب الرباني الأزلي لسيدنا موسى عليه السلام في الوادي المقدس، أو عندما اعتزل قومه أربعين ليلة ليخاطب الله فيها، ولا يخفى على الجميع بأنه كليم الله، وطبعاً لا أحد يقدر على ذلك، لحرمة هذا العمل وعلو الله عن التقليد ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ {الشورى: 11}، وبهذا يكون النص الفني ناقص المعنى ويخلو من أهم الأحداث في قصة سيدنا موسى، ناهيك عن عدم كفاءة المخرجين والممثلين في إظهار النص بالكيفية والطريقة التي أتت بها القصة، لذا تكون المسلسلات الفنية ناقصة في جميع حالاتها مما يرسل الأحداث ناقصة إلى المشاهد، ومع مرور الأيام وتقدم الأزمان تكون الصورة الناقصة التي تلقاها المشاهد راسخة في ذهنه يعلمها لأبنائه، فتنشأ الأجيال على هذا النقص لفهمهم أن هذه النصوص كاملة لا نقص فيها، فيحصل دمار الأجيال التي عُييت عنها الحقيقة الكاملة .

إن حكم تمثيل حياة الأنبياء جميعهم وفي مقدمتهم الرسول الأعظم والنبي الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك صحابته الكرام- ورغم انقسام الآراء في ذلك- جاء بالحرمة عند غالبية أهل السنة والجماعة، وذلك لمكانتهم وقربهم من الله عز وجل، فلولا محبة الله وتفضيله لأبنائه من بين خلقه لما جعلهم أنبياء ورسلاً، ولما حملهم مسؤولية نشر كلمة التوحيد، وميَّزهم بالمعجزات التي لم ينلها غيرهم من الخلق، ولولا محبته لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بشرهم بالجنة بشارة واضحة في كتابه العزيز وعلى لسان نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه، لذا فليس من اللائق أن يتم تمثيل حياة الأنبياء الكرام وصحابة الرسول الأكرم من قِبَل أشخاص لا يعرفون قيمة هذه الرموز العظيمة لدى الأمة الإسلامية، فاليوم هم يمثلون أدوار الأنبياء والرسول المخلصين وصحابة رسولنا المقربين المبشرين، وغداً يقومون بتمثيل مسلسلات كاسية عارية تخلو من الستر والعفة والتقى ومحافة الله عز وجل .

ونظراً لأهمية موضوع تجسيد الأنبياء والصحابة ، وحساسيته عند المسلمين عامة ، وتعدد آراء العلماء وانقسامهم بين مؤيد ومعارض ومحاميد ، سنقوم بطرح الموضوع ومناقشته باستفاضة ، حتى نصل إلى نتيجة .

أولاً

حكم تجسيد الأنبياء والصحابة

المفهوم والأنواع :

قبل أن نبحت في غمار موضوع تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية، ونقف على أقوال من أفتى بجرمته أو جوازه، وجب علينا أن نقف عند أصل الموضوع وهو التمثيل، وما قول العلماء في حكمه، حتى نصل بعدها إلى حكم تجسيد الأنبياء والمرسلين وآل بيت رسول الله وصحابة الكرام .

ولقد آنسني قول دار الإفتاء المصرية في حكم التمثيل عامة، والذي ورد ملحقاً في الفتوى التي أصدرها حول حكم تمثيل الأنبياء والصحابة، حيث ورد ما يلي : (ومن ثمَّ فحكاية الأفعال والأقوال ليست جديدة من حيث جنسها، وإنما الجديد هو جعلها فناً وعلماً له أصول وقواعد باسم - التمثيل - والقاعدة الشرعية أن الوسائل لها حكم المقاصد، فإذا كان التمثيل وسيلة توضيحية مجدية وفعالة لنشر القيم الأخلاقية والتربوية وبناء العقليات المستقيمة كان مشروعاً ومستحسناً، وينبل بقدر نبل غايته، بشرط انضباطه بالضوابط والقيود الشرعية وخلوه من المخالفات والمحظورات الشرعية؛ كالإثارة والنظر واللمس والألفاظ المحرمة، وإذا اقترن به أمور تتنافى مع هذه الضوابط وتخالفها فإنه يكون ممنوعاً بقدر المخالفة، فتارة يُكره وتارة يحرم، ولكن يكون حينئذ منشأ الكراهة أو الحرمة أمر خارج لا ذات التمثيل من حيث هو) . ومن هنا نجد التمثيل حاكماً على نفسه بنفسه، ونجد حكمه الشرعي متعلقاً بماهية الإنتاج الفني أو السينمائي الذي أنتج، فيما أن يكون حراماً حسب المادة الفنية، أو يكون مستحسناً حسب المادة الفنية .

إن لحكم التجسيد عند العلماء أقساماً وآراء، فصدرت الفتاوى في حرمة تمثيل الأنبياء والرسول جملة وتفصيلاً لمكانتهم عند الله عز وجل وحرمة المساس بشخصهم المكرم عن التمثيل، واختلفوا في شأن حرمة تمثيل الصحابة الكرام وانقسموا إلى عدة أقسام، فأصبحوا بين مؤيد ومعارض ومحيد وكلُّ له حجته في ذلك، وسنأتي إلى بيان ذلك .

ثانياً

حكم تجسيد الأنبياء

لقد منّ الله تعالى على هذه البشرية أن أرسل فيها رسلاً يرشدونهم إلى الصراط المستقيم، ويعلمونهم كلمة التوحيد وما يتبعها من تعاليم ربانية، تقيم لهم حياتهم وترسم لهم منهج التعامل فيما بينهم، لذا كانت منزلة النبوة والرسالة عظيمة عند الله عز وجل، وخص من أكرمهم بها بميزات تميزه عن بقية الخلق من حيث ما يجب لهم وما يجوز وما لا يجوز عليهم، فضلاً عما خصهم الله به من المعجزات، ولكون النبوة منزلة عظيمة ومرتبة رفيعة عند الله عز وجل، جعل إحدى جوائز الطائعين له الملتزمين بشرعة أن يكونوا مع الأنبياء يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69]. قال ابن القيم رحمه الله: (ويكفي في فضلهم وشرفهم أن الله سبحانه وتعالى اختصهم بوحيه، وجعلهم أمناء على رسالته، وواسطة بينه وبين عباده، وخصهم بأنواع كراماته فمنهم من اتخذ خليلاً، ومنهم من كلمه تكليماً، ومنهم من رفعه مكاناً علياً على سائرهم درجات، ولم يجعل لعباده وصولاً إليه إلا من طريقهم، ولا دخولاً إلى جنته إلا خلفهم، ولم يكرم أحداً منهم بكرامة إلا على أيديهم، فهم أقرب الخلق إليه وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، وأحبهم إليه وأكرمهم عليه، وبالجملة فخير الدنيا والآخرة إنما ناله العباد على أيديهم، وبهم عرف الله، وبهم عبد وأطيع) (1). ونظراً لتفضيل الله عز وجل لهم في قوله تعالى: ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام: 86}، ومكانتهم الدينية عند المسلمين، فلا يجوز المساس بشخصهم أو تجسيدهم في المسلسلات والمسرحيات الفنية، فذلك ما لا يرضاه المسلم فطراً ويرفضه ديانةً، ومن يبحث في أقوال العلماء لا يجد خلافاً في حرمة تجسيد الأنبياء تجسيداً فنياً أو مسرحياً (فدرء المفسد مقدم على جلب المصالح).

وقد جاءت في حرمة تجسيد الأنبياء والمرسلين الفتاوى الكثيرة، والتي لم تدع ثغرة للمتصيّد إلا أغلقتها، حتى لا يكون الأنبياء عرضة للاستهزاء، ومن تلك الفتاوى ما يلي:

قراراً مجمع الفقه الإسلامي في دورتيه (الثامنة 1405 هـ، والعشرين 1432 هـ)، والذي أكد فيهما على حرمة تشخيص شخص النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء المرسلين عليهم الصلاة والسلام والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، وكفى بهذا البيان رادعاً لقوم جاهلين، ففي هذا المجمع من علماء الأمة الإسلامية ما يشار إليهم بالبنان من العلم والتقوى والورع .

(1) طريق المجرتين وباب السعادتين ص 350 .

فتوى لجنة الإفتاء بالأزهر الشريف بجرمة تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والتي نشرت بمجلة الأزهر في رجب 1374 هـ . وفتوى اللجنة أيضاً بجرمة تمثيل كبار الصحابة وآل البيت، والتي نشرت بمجلة الأزهر 1379 هـ . وقد أصدرت دار الإفتاء المصرية فتواها بتحريم تصوير الأنبياء والمرسلين والصحابة المبشرين، تحت عنوان: (حول تمثيل الصحابة - بتاريخ: 2011/09/28 م). ولم تغفل عن ذلك هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية فقد أصدرت فتوى بتحريم تجسيد الصحابة رقم (13) بتاريخ 1393/4/16 هـ .

وقد ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية (25/40) في حكم تصوير الأنبياء ما يلي : (ذهب الفقهاء إلى تحريم تصوير كل ذي روح من حيث الجملة، وتصوير الأنبياء أولى بالتحريم خشية الفتنة بهم وتطور الأمر إلى عبادة صورهم وتمثيلهم كما يفعله جهلة النصارى).

وإذا كان تصوير الأنبياء في صور جدارية حراماً، فمن باب أولى أن يكون تجسيد شخصياتهم حراماً، ففي كلا الأمرين لا تحصل سوى المفسدة، فيزين الشيطان لضعاف الأنفس ويغويهم، فيما أن يبجلوهم ويعبدوهم مع الله عز وجل، وإما أن يستصغروهم ويستهزؤوا بهم، وفي كلا الحالتين تحصل المفاسد . وما أتت تلك الفتاوى والاستنكارات والتنديدات إلا لتبين عظمة الأمر وما تترتب عليه من مفسدة تضر بمكانة من هم أعظم درجة عند الله عز وجل، ومن تلك المفاسد :

(1) زرع الشك في قلوب المؤمنين وتبديد المكانة التي وقرت في نفوسهم لخير خلق الله، فبعد ما كانوا رمزاً للمثل العلية وشعاراً للأخلاق الندية وعنواناً للصبر أصبحوا بعد نشر تلك المشاهد مثل عامة الناس لا شيء يميزهم عن الغير، معرضين للطعن والتشكيك في مصداقيتهم في المجالس معرضين للغيبة في أعراسهم، وما أشد حرمة الطعن فيهم .

(2) تصبح حياتهم مثار الجدل في ساحة النقد، سواء كان من الممثلين أو المشاهدين أو النقاد، وحاشا أن تصير هذه الرموز العظيمة رسل رب العزة مثاراً للنقد، وما نُقِدْهُمْ إلا نقداً لمرسلهم وتعالى الله عما يشككون .

(3) تعرض رسل رب العالمين إلى الكذب والافتراء عند عرض حياتهم في فلم سينمائي، فلا يخلو فلم أو مسلسل من الزيادة أو النقصان في النصوص الدرامية، وما الكذب على الأنبياء إلا كذب على الله، وتعالى الله عن هذا علواً كبيراً .

وهنا نقول لمن أغواه الشيطان وأنساه ذكر ربه ومخافته يوماً تشخص فيه الأبصار، وأصبح يغرد في كل مكان من أنه لا حرمة في تمثيل الأنبياء والصحابة في المسلسلات الدرامية والأفلام السينمائية، لأن هذا من باب التذكير بسيرهم ومواقفهم وصبرهم، وموعظة لأبناء هذه الأمة، نقول له كفى بكتاب الله واعظاً ومرشداً، وكفى بكتاب الله هادياً ومبيناً، فقد قال الله عز وجل في كتابة الكريم : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ

مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿120﴾ {هود: 120}، فما زالت العبرة ماثلة في مواطنها واضحة في معالمها لمن أراد أن يتعظ من سير الأنبياء والرسل، فقد جاء القرآن الكريم من البيان ما يغني عن الزيادة، وما أعذب كلام الله في كتابه وما أمكنة في تحنين القلوب وترقيق المشاعر وتفهم العقول، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿2﴾ {البقرة: 2} . فلا حاجة لعرض سير الأنبياء في المسلسلات الدرامية كي يتعظ بسيرتهم الناس، فقد أعلمنا القرآن بما جرى فكفى وشفى وأروى عطش الباحثين المتأملين الساعين لمعرفة الحقائق في سير الأنبياء الكرام عليهم السلام .

وهنا نصل إلى أن تجسيد الأنبياء والمرسلين حرام شرعاً بإجماع العلماء المسلمين، وكذلك حرمة التعرض لهم والمساس بشخصهم درءاً للمفاسد، وحفظاً لمكانة هذه الرموز العظيمة عند المسلمين وقدسياتهم الدينية .

ثالثاً

حكم تجسيد الصحابة

إن من محبة الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن أيده بأصدق وأقوي وأحكم الرجال العرب في فترة بزوغ شمس دعوة التوحيد، وما ذلك إلا للحكمة ربانية أرادها، فجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم خير خلقه من بعد نبيه وهم الصحابة الكرام، فشد أزره بالصديق سيدنا أبي بكر فصدقه في كل أقواله وآزره في جميع أحواله، في فترة كان بأمس الحاجة إلى من يصدقه ويؤيده ويناصره، وحتى تكتمل المجموعة المختارة من الله العزيز الحكيم لنصرة حبيبة الأمين أيده بسيدنا عمر بن الخطاب الذي فرق بين الحق والباطل، فلا يخاف في الله لومه لائم، قوي على الكافرين رحيم بالمؤمنين، وقد كان ذلك استجابة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب » قال: وكان أحبهما إليه عمر(1). وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب)(2) ، وما كان ذلك الطلب إلا بإدراك من النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه من مكانة سيدنا عمر عند الله، وبأنه من الذين سينصرون الدين ويجاهدون فيه ويعلمون كلمة التوحيد. وقد توالى نصرته الله لنبيه الكريم وعونه له فأيده بسيدنا عثمان بن عفان وسيدنا علي بن أبي طالب وباقي العشرة المبشرين بالجنة والصحابة الكرام صفوة الخلق لدى الخالق، رجال جاهدوا في الله فقاتلوا وقتلوا ونصروا الدين حتى أتى عليهم رب العزة فقال في كتابه العزيز: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَةً وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ { الأحزاب: 23 }، فلولا هذه النخبة التي انتقاها الله عز وجل من بين خلقه لتناصر نبيه الكريم في مهمته الربانية، لما وصل الإسلام إلى أصقاع المعمورة، ولما انتشر هذا الانتشار السريع، فقد بذلوا الغالي والنفيس لنشر الدعوة وإعلاء كلمة الله، فوجب علينا أن نحفظ لهم كرامتهم ومكانتهم ونصون سمعتهم وقدرهم، تقديراً لما قدموه من خدمات جليلة واضحة وضوح الشمس لهذا الدين، ولأنهم الصفوة المنتقاة من خلق الله لنصرة كلمة التوحيد ودعم النبي الكريم ومساعدته في نشر الدعوة الإسلامية، وقد أجمع العلماء على عدالتهم وفضلهم ومكانتهم عند الله، وحرمة انتقاصهم وازدراؤهم ووصفهم بالقوال المشين والسباب المذمومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه)(3)، وكفانا وصاية النبي صلى الله عليه وسلم في

(1) أخرجه الترمذي أبواب المناقب، باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عن، برقم 3681 . وقال:

«هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر» .

(2) أخرجه ابن ماجه، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فضل عمر رضي الله عنه، برقم 105 .

(3) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً»، برقم 3673. ومسلم كتاب الفضائل، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ، برقم 2540.

أصحابه حين قال : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه)(1) والأحاديث في فضلهم كثيرة تغني عن المقال.

إن تجسيد شخصيات الصحابة أمر منكر ومرفوض لدى المسلمين عامة، وليس مقبولاً لدى هذه الأمة، ولو كان في ذلك خلاف بين العلماء المعاصرون، إلا أنه مرفوض بالأغلبية، فكيف بمن يمثل أدواراً سينمائية مع النساء الحاسرات تارة، ويشرب الخمر في الحانات والمراقص تارة أخرى، أن يجسد شخصية صحابي جليل بذل الغالي والنفيس لرفعة هذه الأمة وصاحب خير البرية في حروبه وغزواته لنصرة الدين .

وقد ذهب العلماء المعاصرون في مسألة تجسيد شخصيات الصحابة إلى أكثر من قول، وانقسموا إلى عدة أقسام، وهي :

(1) القسم الأول : وقد ذهب هذا القسم إلى المنع التام جملة وتفصيلاً، فلا يجوز لديهم تجسيد الصحابة لقدسيتهم عند المسلمين ولما لهم من مكانة عند الله ورسوله، فهم الخيرة المختارة من الله عز وجل لنصرة دينه، ولما سيتبع هذا العمل من انتقاص لهم واستصغار لأفضليتهم ومساواتهم في الغير في الفضل والمكانة، هذا وقد صدرت فتوى بتحريم تمثيل الأنبياء والصحابة الكرام عن إدارة الإفتاء وهيئة كبار العلماء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخير بحكومة دبي، بدولة الإمارات العربية المتحدة، ونشرت في الجرائد اليومية في شهر يوليو 2012 م. وقد ذهب إلى هذا القول (مجمع الفقه الإسلامي - وبعض علماء الأزهر الشريف - واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالسعودية - والكثير من العلماء المعاصرين منهم الدكتور أحمد عمر هاشم والدكتور عبد الفتاح عاشور والدكتور أحمد الريسوني من علماء المغرب) .

(2) القسم الثاني : وقد ذهب هذا القسم إلى الإباحة المطلقة وجواز تمثيل الأنبياء وآل البيت والصحابة في الأفلام والمسلسلات، وهم علماء الشيعة ونقل ذلك عنهم الشيخ فيصل مولوي في بعض فتاواه، وفتوى حسين فضل الله في كتابه - فقه الحياة - (ص166)، والسيستاني في كتاب - الفقه للمعتزبين (ص 343 مسألة 595) .

(3) القسم الثالث : وقد ذهب هذا القسم إلى حرمة تمثيل بعض الصحابة وجواز تمثيل الآخرين، وانقسموا إلى قسمين في المجموعة التي يحرم تمثيلها وهما :

- الأول : حرمة تمثيل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين .

(1) أخرجه الترمذي ، أبواب المناقب ، باب فيمن سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، برقم 3862 ، وأحمد 87/4 ، 57/5 ، برقم 16849 ، والبخاري في التاريخ الكبير 131/5 .

• الثاني : حرمة تمثيل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والعشرة المبشرين بالجنة من صحابة النبي الأكرم.

ورغم انقسام الآراء في هذه المسألة، إلا أن القسم الأكبر من العلماء المسلمين والهيئات الدينية والمراكز الإسلامية تستنكر هذا العمل وتفتي بحرمته لما فيه من مفسدة، وقد صدر من البيانات والفتاوى في الحرمة ما يغني عن الزيادة، ومن المعلوم أن الدين قائم على أسس ثابتة وهي : (كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والإجماع والقياس)، وبما أن هناك إجماعاً بالأغلبية لدى علماء الأمة في حرمة هذا العمل إذا فهو حرام لا يجوز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لن يجمع أمتي على ضلالة) (1) .

وإن أسباب الرفض لعرض هذه المسلسلات التي تجسد الصحابة الكرام، ما يلي :

(1) لقد تعرض الصحابة للسب والشتم والتجريح والإهانة من قبل المشركين لنصرة هذا الدين، وفي التمثيل لا بد من ذكر ذلك حالاً ومقالاً بقصد أو بدون قصد، وبهذا يتم الإساءة إلى الصحابة بالسب والشتم، وهذا ما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال : (لا تسبوا أصحابي)، ناهيك عن أنه لا يجوز سب أي شخص كان حياً أم ميتاً، بقصد أو بدون قصد .

(2) لا يستطيع أحد إنكار الفتن التي تلت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وما عقب تلك الفتن من تحزب وتشيع في الأمة، وليس من الحكمة في زماننا إحياء ما قد مضى من سير التاريخ التي تثير نار الفتنة بين المسلمين، والتي ستثير القبيلية بين القبائل العربية التي كانت جزءاً من هذه الأحداث ، ولنجعل بين أعيننا قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ { البقرة: 134 } .

(3) إن السعي وراء المنفعة المالية طاغ على مثل هذه المسلسلات، وبالتالي سيطغى التحريف في سير الصحابة الكرام والحذف والإضافة حسبما تقتضيه مصلحة التمثيل، وهذا لا يجوز قطعاً.

(4) لقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم سيرة الخلفاء الراشدين جزءاً من سنته وجعل هديهم من هدية حيث قال : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) ومن يعيش منكم فسيري اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ(2) . وبما أن تجسيد شخصية النبي حرام شرعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، فمن جعل النبي صلى الله عليه وسلم سنتهم جزءاً لا يتجزأ من سنته داخلين في حكمه.

(1) أخرجه الترمذی، أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، برقم 2167، وعبد الله في زوائد المسند، 396/6، رقم 27267، والطبرانی 280/2، رقم 2171.

(2) أخرجه ابن ماجه، المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم 43، وأبو داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم 4607، والترمذی، أبواب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، برقم 2676.

لقد وردت فتاوى كثيرة في شأن تجسيد الصحابة في المسلسلات الدرامية والأفلام السينمائية لما لهم من قدسية عند معاشر المسلمين، واستنكارات كثيرة من قبل مجموعة كبيرة من العلماء المعاصرين، وثبت الاختلاف مع مجموعة من المحايدين والمبيحين في هذا الشأن إلا أنهم قلة، ومعلوم حسب القاعدة الفقهية بأن (الخروج من الخلاف مستحب) والخروج من هذه الفتنة من الضرورة بمكان، فإنما هي فتنة أريد بها زرع الشقاق بين المسلمين وتبديد صفوفهم وتشتيت آرائهم، قال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا جِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ { التوبة : 47 } ، وما الخروج من هذه الفتنة إلا بالمنع التام لمثل هذه المسلسلات التي تجسد الأنبياء والصحابة وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريم عرضها ومشاهدتها لما فيها من تصغير لمكانتهم وقدسيتهم في أعين المشاهدين، ولجماً للمتصيدين على هذه الأمة وأعلامها، ودرءاً للمفاسد التي من شأنها إثارة الفتنة بين المسلمين وإشعال نار الطائفية والتحزب والتشيع لفئة دون أخرى، فجلب المصالح ودفع المفاسد لا يتأتى إلا بذلك .

رابعاً

مشروع قرار

بعد عرضنا لما سبق من حكم تمثيل الأنبياء والمرسلين في الأفلام والمسلسلات، وبيان الحكم في الحرمة القاطعة استناداً على الفتاوى الصادرة من الهيئات الدينية والمراكز الإسلامية وعلماء أهل السنة والجماعة عامة، وحكم تمثيل الصحابة أيضاً وما اعتلاه من انقسام في الآراء بين علماء المسلمين، وبيان آرائهم في ذلك، وبيان أن السواد الأعظم ممن ذكرنا قد أفتوا بجرمة تمثيل الصحابة حفظاً لقدرهم قدسيته عند المسلمين ودرءاً للمفاسد وإخماداً لنار الفتنة التي تصحب هذه المسلسلات، فقد خلصنا إلى بعض النقاط المهمة، لعلها تكون ذات نفع لمشروع القرار الذي سيتم اتخاذه في هذا الشأن، وهي :

(1) التأكيد على حرمة التجسيد جملة وتفصيلاً للأنبياء والمرسلين وفي مقدمتهم الرسول الأعظم والنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين وصحابته المباركين، نصرة لأنبياء الله المعصومين المكرمين فهم خير خلق الله أجمعين الذين اصطفاهم من بين عبادة واختصهم بالنبوة والرسالة وأيدهم بنصره وحفظه وعونه، وحفظاً لآل بيت رسول الله وصحابته من الطعن والتشكيك والاستهزاء والانتقاص والازدراء، فهم النخبة المنتقاة من الله عز وجل لنصرة الدين وعون النبى الكريم، وتصديقاً لقول النبى صلوات الله وسلامه عليه : (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي) (1) .

(2) عدم التطرق نهائياً إلى الفتن التي دارت في زمن الصحابة والخلفاء الراشدين ومنع تمثيلها جملة وتفصيلاً، لما لها من تأثير مباشر في نفوس المسلمين عامة، والتي بسببها عاشت الأمة الإسلامية في شتات وتفكك وتحزب وتشيع وفتن، وإذ نحن بزمان في أمس الحاجة إلى الوحدة والتعاقد والتكاتف بين أطراف الأمة المحمدية، لا في إشعال نار الفتنة التي ما ذاق منها المسلمون إلا الويل قال الله تعالى : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ { البقرة: 191 } .

(3) إن إجماع الهيئات الدينية والمراكز الإسلامية والعلماء المسلمين بالأغلبية على عدم جواز تمثيل الأنبياء والمرسلين وآل بيت رسول الله وصحابته الكرام لهو كافٍ للتحريم فهو مأخوذ على أحد أسس الشريعة الإسلامية وهو (الإجماع)، وأما بالنسبة لمعارضى التحريم فهم قلة، ومعلوم عدم خلو حكم شرعي من التأييد والمعارضة والمحايدة وتكفي الأغلبية في إصدار الأحكام .

1. تقوم إحدى القواعد الفقهية على (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، ولا تخلو هذه الأعمال الفنية من المفاسد الظاهرة الواضحة، وأهمها عدم خلوها من

(1) سبق تخريجه.

الحذف والإضافة وتمثيل الأدوار خلاف الواقع الذي حصل، ناهيك عن أن التاريخ لا يخلو من الإضافات التي دستها الأيدي المغرضة والجماعات الموالية لفئة دون أخرى مما يجعل النصوص الفنية ناقصة المعنى متزعزعة المبنى، فيتصيد منها من يهوى الفتنة ما يعكر صفو الأمة .

(4) دعوة الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي إلى استصدار القوانين التي تلزم القنوات الفضائية الحكومية والخاصة إلى تجنب دعم هذه الأفلام والمسلسلات من جميع الجوانب المادية أو المعنوية وعدم عرضها على شاشات التلفاز أو الترويج لها، ومقاضاة من يخالف هذه القوانين حتى تحصل العبرة من الغير .

الخاتمة

لقد من الله عز وجل على هذه الأمة أن جعلها خير الأمم فقال في كتابه الكريم : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ { آل عمران: 110}، وهذا هو أساس الأمة المحمدية حيث إنهم يتناصحون فيما بينهم فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ما استطاعوا، والمنكرات في زماننا كثيرة ولها أشكال عديدة، فبعضها ظاهرها وباطنها منكر، والبعض الآخر ظاهرها جميل وباطنها منكر وهذه هي العلة، فمثل هذه الأمور تجعل الأمة في ضياع وتقسمهم إلى أحزاب وتجعلهم شيعا، فمنهم من ينظر إلى الظاهر فيجيز ومنهم من ينظر إلى الباطن فينكر، فتزيد الهوة بينهم وتتسع بحسب الأمر وأهميته، والنتيجة هي الشحناء والبغضاء بين المسلمين، لذا للضرورة أحكام، فإن كانت هذه المسلسلات ستشعل نار الفتنة بين المسلمين، فمن باب أولى أن يتم منعها وعدم السماح ببثها عبر القنوات الفضائية درءاً للفتنة وسداً للذريعة، سائلين الله أن يحفظ هذه الإسلام والمسلمين وأن يعيننا لما فيه مصلحة الدين .

والله ولي التوفيق،،،